

مقدمة

بقلم الكاتب الكبير
الأستاذ عباس محمود العقاد

تفضل الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد - وهو صاحب فضل كبير في رعاية اللجنة والأخذ بيد العاملين فيها، لتحقيق رسالتها العلمية التي تحمل لواءها لنشر الثقافة العامة - فكتب حفظه الله بقلمه مقدمة لهذه «الموسوعة التيمورية» بما عرف هو عن صاحبها ومؤلفها من سعة العلم وبإلغ الأثر في حب غرس البحث والتنقيب في نفوس الأدباء الناشئين والكتاب الباحثين، والأستاذ العقاد خبير من يقدم لمثل هذه المؤلفات الضخمة، تقديرًا منه وتشجيعًا للعلم والأدب، وهو الكاتب الكبير الذي له أثر خالد في كل ناحية من النواحي العلمية والأدبية، وفي كل دعامة من الدعائم التي وضعت ليرسى عليها بناء الأمة العربية وإعداد أبنائها للمستقبل الزاهر باسم الذي بدت طلائعه تبشر بالاستقرار والفوز ببلوغ الآمال.

ولا يسع اللجنة إلا أن تزجي لسيادته شكرها المقرون بالتقدير والاحترام، والاعتراف له بالفضل في تخليد ذكرى المجاهدين وتمجيد أعمالهم، والإشادة بأعمال المكافحين في سبيل خدمة هذا البلد الخدمة العلمية الحققة.

وهذه هي الكلمة التي تفضل بها كاتب العربية الكبير:

هذه مجموعة من نواذر اللغة، لو ظفر علماء الحضارات بأعيانها وموادها لاجتمع لهم منها متحف عامر بأصول البحث عن الحضارات العربية من إقدامها إلى أحداثها، وذخيرة حافلة بوجوه المقابلة بين كل حضارة منها وسائر أخواتها، في أطوارها المتتابعة.

لأن علماء «تاريخ الحضارة» - كما لا يخفى - يعتمدون فى دراستهم على مخالفات الأمم من الآنية والأوعية، ومن الأمتعة والأدوات، ومن كل مادة تدل على الأكسية والحلى وعلى الأطعمة والأشربة، ليتعرفوا بها أحوالها وعاداتها فى معيشتها اليومية، ويقيسوا بها درجاتها من التقدم والتخلف، أو من الأصالة والتقليد، ومبلغ اتصال هذا كله بالقدرة على تجويد الصناعة وتنويع لوازم المعيشة، وحسن الفطنة للذوق السليم والمهارة الفنية.

وهذه صفحات تحتوى فى الواقع «متحفا» واسعا من مادة «تاريخ الحضارة» لأنها تحتوى صفوة التحف اللغوية التى عثر بها العالم المحقق «أحمد تيمور باشا» أثناء مطالعته ومراجعاته. وهى - كما يعلم القراء - بحر غزير لا يتوفر فيضه للكثيرين من قراء اللغة العربية، لأنهم قد يملكون الكتب فلا يملكون الوقت، وقد يملكون الكتب والوقت فلا يملكون سعة الرزق وطمأنينة النفس إلى الأناة وطول الصبر على التحقيق، ولا غنى عن الأناة والصبر فى البحوث.

وقد أريت هذه الصفحات على المائتين واملأت كلها بالشوارد النادرة عن «خلق الإنسان وصفاته والأطعمة والأشربة والفاكهة والنقل والحلى والزينة والطيب والألوان والأصباغ وآلات الطرب وأصوات الغناء». . . فهى - بحق - متحف واف للحضارة العربية يغنى المؤرخين لها عن مئات المراجع التى تيسرت للعلامة الكبير، وقد يلجئهم إلى تلك المراجع لإعادة النظر والاستقصاء، فيغنيهم جهد العلامة المؤلف فى البحث والتدوين عن جهد جديد لإحصاء المراجع بعد المرجع والأهداء إلى الشاهد بعد الشاهد بين فصول وصفحاته.

وأقرب ما تمثل به لفائدة هذا المتحف النفيس تلك الصفحات التى اشتملت على آلات الطرب وأصوات الغناء ومصطلحات علم الموسيقى والإيقاع. فان خبراء الغناء عندنا وخبراء التاريخ معا يجهلون كل شئ عن هذا الفن العربى غير أسمائه وأسماء آلاته، ويحاولون أن يعيدوا «أغنية» واحدة مذكورة بتلك الأسماء فلا يخرجون من

محاو لاتهم بغير الظن والتخمين، وسبب ذلك أن الخبير الغنائي لا يعرف مراجع التاريخ، وإن الخبير التاريخي لا يعرف قواعد الغناء القديم، ولعله لا يعرف قواعد الغناء الحديث... فإذا تسنى لباحث موسيقى تاريخي أن يقف على كل ما وصفت به الأغاني ووصفت به آلاتها ومناسباتها، فمن الميسور أن يهتدى الموسيقيون والمؤرخون معا إلى أسر تلك المصطلحات، وأن يعيدوا لنا «السماع» العربي كله مسموعا مسجلا بألحانه وأوزانه وأصواته ونغماته، غير قانعين كما نقتنع اليوم بإعادة أخبار السماع على السماع؟

ويستفاد غير هذا العلم من غير هذا الباب، لأن العلامة الكبير قد وفى المعرفة حقها بطول البحث والنظر وطول المراجعة والمتابعة، وفى الأمانة حقها بإثبات ما رآه كما رآه. ونرجح نحن أن الموسوعة لم تأت بتصحيح من عندها غير التصحيح الذى نقلت عنه، ففيها عن «أنس الوحيد» بيت فى الإيقاع ليس بيت وهو :

إن رقصى على مقدار إيقاع الزمان

وصحته كما نذكر:

ولا تعتب على فإن رقصى على مقدار إيقاع الزمان

ولكن «أنس الوحيد» على ما نرجح هو المسئول عن هذا الاختزال، ومثله كل منقول حفظته أمانة النقل بما عرض له من تصحيح.

* * *

قيل لابن حزم : انك لا فضل لك فى علمك لأنك حصلته وأنت تطالع الكتب على مصاييح الذهب : فقال ما معناه : بل الفضل لى فى ذلك فضل لاينازعة من طالع الكتب على غير تلك المصاييح، لأنه إنما طلب العلم ليصبر إلى مثل ما أنا فيه، ولكنى طلبته مستغنيا به كل طلبية، لأننى لم أبلغ به نعمة كنت أفقدها قبل الوصول إليه.

ويحق لنا نضع هذا الكلمة على لسان علامتنا السرى بعلمه وماله رحمه الله، فأنها

حق له لم يكن يذكره لنفسه ، فلنذكر له في هذا المقام أنه صاحب الدنيا وفارقها وهو
يحسن بعلمه كما يحسن بماله، أحسن الله إليه وأجزل له مشوبة الخير والذكر
الجميل،

عباس محمود العقاد